صورة الأمير عبد القادر في رواية «ثائر من الجزائر» لـ «عبد القادر قسمية»

إعداد طالب الدّكتوراه: أيوب عسلي

كلّية الآداب واللّغات/ جامعة ابن خلدون- تيارت

asseli.ayoub@univ-tiaret.dz

○ **ملخص:**

الأمم على اختلافها لها قادات وأعلام أثّروا بإسهامهم في نهضتها وفي سموّها ورفعتها، والأمة الجزائرية واحدة من بين هذه الأمم، التي لها هي الأخرى قادات وأعلام كان لهم عظيم الأثر في بزوغ نجم هذه الأمة ورفعتها، ورخاء إنسانها قديما وحديثا، ومن هؤلاء القادة والأعلام نجد الأمير عبد القادر الذي يعدّ رمزا للجزائر والعرب، رمزا للتسامح، عالما ومجاهدا، مقاوما وشاعرا، تخطّت سيرته وطنه بما له من مواقف مشرّفة بوأته أعلى المراتب. ولما له من سيرة عطرة، ما فتئت الأعمال الأدبية والفكرية تخلّد سيرته، ومن بين هذه الأعمال رواية «**ثائر من الجزائر**» للكاتب الجزائري «**عبد القادر قسمية**»؛ هذه الرّواية التّاريخية التي تناولت سيرة الأمير بكلّ تمفصلاتها، ورسمت له صورة، تطمح هذه الدّراسة للوقوف عندها لتبيّنها من خلال مختلف المقاطع المبثوثة في ثنايا المدونة ككل. وهذا الهدف لا يخرج عن إطار الأهداف العامة للملتقى، وعلى وجه الخصوص: تقصي صورة الأمير عبد القادر في المتخيّل الأدبي والفنّي المعاصر. وسعيا لإحقاق هذا الهدف جاء السّؤال المحوري كما يلي: **ما الصّورة التي رسمها بن قسمية للأمير عبد القادر في هذه المدونة؟ وكيف تمّ له ذلك؟ وإلى أيّ مدى تقترب هذه الصّورة من الواقع؟**

في هذه الورقة البحثيّة، بقراءة وصفيّة تحليليّة سنحاول الوقوف عند مختلف الصّور التي تضمنتها، بعد رصد أهمّ المقاطع. وكخطة عمل أولية: ترتكز هذه الدّراسة على جانب نظري متعلّق بقضايا الصّورة في الرّواية؛ مدى حضورها، واقعيتها، الأدوات التي تتوسل بها الرّواية لتشكيل الصّورة، ... وهذا الجانب الهدف منه موضعة الدّراسة في إطارها الصّحيح. ثمّ الجانب التّطبيقي الذي سيأخذ الحيّز الأكبر، وفيه ستكون إجابة عن التّساؤلات المطروحة أعلاه.

Abstract:

Different nations have leaders and celebrity that have influenced their contribution to its renaissance, its highness and its elevation. and the Algerian nation is one of these nations, which also has leaders and flags that had a great impact on the advent and lifting of this nation's star. We find Prince Abdelkader, a symbol of Algeria and the Arabs. tolerance ", a symbol of tolerance, a world and a struggle, a resistance and a poet, whose career transcended his homeland with his honourable attitudes at the highest level. Because of his fragrant biography, literary and intellectual works continue to immortalize his biography, including the novel "Revolutionary from Algeria" by the Algerian writer "Abdelkader Kasmiya"; This historical narrative, which dealt with the Prince's biography in all its details, and painted a picture of him, aspires to stand up for it through the various passages broadcast in the blog as a whole. This goal does

not fall outside the framework of the general objectives of the Forum, in particular: to investigate Prince Abdelkader's image in contemporary literary and artistic imagination. In pursuit of this objective, the central question is: What is bin Kasmiyah's portrait of Prince Abdul Kader in this Code? And how was that done to him? How close is this picture to reality and history?

In this paper, with an analytical descriptive reading, we will try to stand at the various images that included, after observing the most important passages. As a preliminary plan of action: this study is based on a theoretical aspect of the narrative ' Its presence, its realism, the tools with which the narrative begs to shape the image, ... This aspect is the subject of the study in its correct context. Then the applied aspect that will take the greater space, in which it will be an answer to the questions raised above.

- **مقدّمـــــة:**

عرفت الجزائر على مرّ العصور شخصيات عظيمة وفاعلة، كان لها عظيم الأثر في تاريخها، وتاريخ إنسانها على وجه الخصوص. وقد كان من أهمّ هذه الشّخصيات العظيمة «**الأمير عبد القادر**» الذي ثار ضدّ الغزاة الفرنسيين في الثّلاثينيات من القرن التّاسع عشر، وعمل على بناء وتأسيس الجزائر الحديثة على مدار عقود من الزّمن بالمقاومة والنّضال والانتصارات الكبرى التي حقّقها. ولا تقتصر عظمة هذه الشّخصية في كون الأمير واحد من القلائل الذين أثّروا بالإيجاب في تاريخ الجزائر، بل لكونها أيضا شخصية تخطّت حدود وطنها، فعرفها الآخر بجوانبها المختلفة والسّامية؛ فالأمير –على سبيل التّمثيل– إنسانيّ إلى حدّ بعيد، ولا أدلّ على هذا من دفاعه عن الحق والمستضعفين، إضافة إلى كون الأمير شخصيّة فكريّة وأدبيّة رفيعة المستوى. من كلّ هذا وأكثر اكتسبت هذه الشّخصية التّاريخية الكثير من الأهميّة والرّعاية، فخلّدها الأدباء الجزائريون بأقلامهم في مختلف الأعمال، وعلى سبيل الذّكر رواية «**ثائر من الجزائر**» لـ «**عبد القادر قسمية**»، التي ترسم لنا شخصية الأمير في مختلف أبعادها وسماتها، وعليه جاءت هذه الدّراسة لتحاول الإجابة عن سؤال محوريّ ألا وهو:

- **ما الصّورة التي رسمها بن قسمية للأمير عبد القادر في هذه المدونة؟**
- **وكيف تمّ له ذلك؟ وإلى أيّ مدى تقترب هذه الصّورة من الواقــع؟**

وتوسّلا بـ «المنهج الوصفي بآلية التّحليل»، سنحاول الوقوف عند مختلف تجلّيات هذه الصّورة، وما هو كائن من خلفيات –قدر المستطاع– من ورائها، عن طريق رصد المقاطع الدّالة التي ترسم لنا صورة الأمير صراحة أو ضمنا، التي يعبّر عنها الأمير ذاته، أو أحدا من أهله وخاصّته، أو الآخر على اختلافه.

وعلى ضوء ما سبق وجب العمل بمنهجيّة؛ فكان أن وضعنا مدخلا مختصرا عن الصّورة، في محاولة لتبيّن جوهرها ومدى صدقيتها. كتأطير وموضعة للبحث فيما هو صائب. ثمّ شقّ تطبيقيّ للإجابة عن السّؤال المطروح؛ وفي هذا الشّق إظهار لصورة الأمير من مختلف المنظورات.

1. الصّورة: بين الجوهريّة والصّدقيّة

يشكّل موضوع الصّورة موضوعا مهمّا في الوقت الرّاهن، لذلك كثرت وجهات النّظر حول الصّورة وقضاياهـــا، ممّا شكّل زخما من التّعاريف التي تحاول كلّها رصد مفهوم لها. ومن خلال هذا الوقفة سنحاول التّعرف على أهمّ ملامحها، على قدر ما يخدم بحثنا في جانبه التّطبيقي، لذا نرى أنّه من بين التّعاريف التي جاءت للصورة ما يلي:

- "الصّورة هي إذن تعبير، أدبي أو غير أدبي، عن انزياح ذي مغزى بين منظومتين من الواقع الثّقافي"[1]؛ المراد من هذا التّعريف أنّ الصّورة إمّا أن تتوسّل بالأدب أو بغير الأدب، فبالأدب مثلا تكون عن طريق الرّواية مثلما هو الحال في رواية "ثائر من الجزائر"، أمّا بالنّسبة لحضورها فإنّ لهذا مغزى معيّن يهدف إليه الكاتب، فلا تحضر الصّورة هكذا اعتباطا.
- "الصّورة هي تمثيلٌ، أيُّ شيء يقوم لدى شخص مقام آخر [...] بل هو فكرة ورمز وعلامة"[2]؛ يحلينا هذا التّعريف على جوهر الصّورة، فهي تمثيل، والتّمثيل هو تعويض شيء لشيء آخر، فعلى سبيل المثال صورة الآخر ليست هي الآخر، فالآخر كيان موجود فعليّا، أمّا صورته فهي تمثّل له؛ أي صورة له، في كثير من الأحيان لا تطابق آخرها. وعن هذا التّمثيل فيحضر في الذّهن كحالة أوليّة، ثمّ يفرغ في الخطاب باعتباره فكرة قائمة ورمز وعلامة، لهذا كلّه مقصديات جمّة.
- "الصّورة إذن هي إعادة تقديم واقع ثقافي"[3]؛ يتمحور هذا التّعريف حول الكلمة المفتاحية: "إعادة تقديم"، فالصّورة إذن ليست هي الواقع الثّقافي نفسه، بل هي إعادة تقديم له وفق معيطات أوّليّة بطبيعة الحال، مع ما يشوبها من فكر وتصوّرات ومقصديات للكاتب.
- "من الثّابت أنّ الصّورة تقديم، أي عناصر ماثلة في ذهن(الكاتب، والجماعة)والتي تحلّ محلّ عنصر أصلـــــــي غائب(الأجنبي)، وتقدّم بدلا عنه خليطا من المشاعر والأفكار"[4]؛ يؤكّد صاحب هذا التّعريف على أنّ الصّورة تقديمٌ، يختصّ بتعويض يقوم به الكاتب؛ فما هو ذاتيّ من مشاعر وأفكار يحلّ محلّ ما هو أصليّ غائب. فعلى سبيل المثال: الأمير في الواقع، يعاد تقديمه وفق ما هو كائن في ذهن الكاتب أو المتخيّل الجمعي، لينوب هذا الفعل الأخير المشكّل من فكر ومشاعر الكاتب عن الأمير ككائن فعليّ واقعيّ.

تُجمع التّعاريف السّابقة التي أخذناها كعيّنة من مجمل التّعاريف، على أنّ الصّورة هي إعادة تقديم لما هو كائن فعلا على أرض الواقع؛ سواء للإنسان أو المكان، لكنّ الأكيد في هذه العملية أنّ الصّورة في جزء كبير منها مأخوذة من الواقع، وممزوجة بعد ذلك بذاتية الكاتب، من مشاعر وأفكار، منها ما هو خاصّ ومنها ما هو جماعي مشترك. وممّا يجب أن نشير إليه ها هنا

---

[1] دانييل هنري باجو: الأدب العام والمقارن، تر: غسان السّيد، د ط، منشورات اتحاد الكّتاب العرب، دمشق، سوريا، 1997، ص 91

[2] عبد القادر بوزيدة: صورة الآخر ودلالاتها في الدّراسات المقارنة، مجلة اللّغة والأدب، ع 26، كلية اللّغة العربية وآدابها واللّغات الشّرقية، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2015، ص 202

[3] دانييل هنري باجو: الأدب العام والمقارن، مرجع سابق، ص 91

[4] المرجع نفسه، ص 92

أنّ الذّاكرة لها دورها الكبير في عملية البناء هذه، إذ يتمثّل ما تضطلع به من مهام في "الإضافة والحذف والتّعديل حيث يكون في مقدورها أيضا أن تمارس سيطرة واستبدادا"[5]، فالذاكرة إذن –فردية أم جماعية– لها الدّور الأكبر في البناء، ممّا يطرح مسألة أخرى متمثّلة في الوعي الخاص بالكاتب الذي يرافق هذه العمليّة، فكلّ ما يقوم به الكاتب من انزياح لا يكون إلّا لمقصديات معيّنة، وتأكيدا لهذا يقول أحد الباحثين عن الكاتب عموما: "قد يعمل واعيا أو غير واع على تحريف بعض عناصر الصّورة من أجل نجاعة مطلوبة"[6].

وحتّى لا يساء الظّن والاعتقاد فإنّ الصّورة الأدبيّة "ليست بالضّرورة صادقة تماما"[7]، فهذا يعني أنّ الصّورة كثيرا ما تتأثّر بذاتية الكاتب، لتنحو منحى آخر، يستوجب الوقوف عندها لتمحيصها، من زوايا متعدّدة، وبمقارنتها مع مثيلاتها لكتّاب آخرين. وصدقيّة الصّورة من عدمها تستوجب النّظر في مدى واقعيّتها؛ لأنّها تتأرجح بين واقعية خالصة وما يداخل واقعيتها من خيال كثير وتأويل، يلعب في هذا فكر الكاتب وميوله دوره البارز، فتكون تبعا لذلك الصّورة خيالية، أو نموذج مثالي.[8] وتأسيسا على هذا القول يمكننا أن نذهب إلى أنّ الصّورة في مجملها فيها ما هو واقعي وفيها ما هو خيالي، لكن بنسب متفاوتة، الغلبة فيها بطبيعة الحال للمتخيّل، وهذا يكثر في الأعمال الأدبية في عمومها، مثلما هو الحال في الرّواية موضوع الدّراسة، التي كثيرا ما غطّى الخيال فيها على الواقعيّ، حتى صنع لنا الرّوائي نموذجا مثاليا وشخصية تقترب من الشّخصية الأسطورية. لكنّنا مع هذا لا ننفي وجود الواقعي والمتفّق عليه تاريخيا. فقط ما يجب أن يؤكّد ها هنا أنّ الصّورة على اختلاف تلويناتها "كثيرا ما تختلط الحقائق فيها بمزاعم لا أصل لها، أو بتأويلات مبالغ فيها، فتخرج بذلك عن حدود الواقع"[9].

هذه الإشارات المقتضبة حول مبحث الصّورة، أردت فقط من خلالها وضع اليد على شيئين أراهما مهمين، ألا وهما أنّ الصّورة ليست نسخة طبق الأصل عمّا تصّوره لنا، فالاختلاف قائم بينهما، لأنّ ذاتية الكاتب تلعب دورها البارز حين تأثيث الصّورة، لتخرج هذه الأخيرة وفق ما يرتضيه الكاتب وخياله، مع شيء من المخيال الجمعي، لأنّ الذاكرة الفردية عادة ما تُبنى عليها. وممّا يجب أن نشير إليه أيضا أنّ الغلبة في الصّورة تكون للمتخيّل وليس للواقعي، لذا تكون صدقيتها دائما محلّ شك وتتبّع.

2. صورة الأمير عبد القادر في رواية "ثائر من الجزائر":

صاحب المدوّنة عبد القادر قسميّة؛ كاتب وروائي جزائري، من أعماله «قوافي النّصر»؛ التي تناولت شخصية مفدي زكرياء، و«ثائر من الجزائر»؛ التي تناولت شخصية الأمير عبد القادر. هذه الأخيرة التي قسّمها صاحبها إلى ثلاثة أقسام،

---

[5]عمر بن قينة: الشّكل والصّورة في الرّحلة الجزائرية الحديثة، ط 1، دار الأمة، الجزائر، 1995، ص 108- 109

[6]نور الدّين أحمد بنخود: المرجعي والذّاتي في السّرد الرّحلي، ط 1، كلمة للنشر والتّوزيع، تونس،2022، ص 303

[7]عمر بن قينة: الشّكل والصّورة في الرّحلة الجزائرية الحديثة، مرجع سابق، ص 118

[8]يُنظر المرجع نفسه، ص 111

[9]محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ط 3، دار نهضة مصر، القاهرة، د ت، ص 333

عنونها كالتّالي: السّيرة التّعليمية في الأمصار العربية، السّيرة الحربية، السّيرة الإنسانية والفكرية. فعلى مدار 188 صفحة، عالج هذه الأقسام الثّلاثة بما تحتها من عناوين متعدّدة.

عاش الأمير حياة كلّها حركة ولقاء؛ فمنذ اصطحابه من قبل والده في رحلة الحجّ إلى الحجاز أصبح عبد القادر الحاج، ذلك الفتى اليافع، الذي يجذب الأنظار إليه أينما حلّ وارتحل، فحدث أن نُظر إليه من منظورات متعدّدة، تشكّلت من خلالها صورة له، وفيما يلي رصد لهاته الصّور المتعدّدة والمتنوعة:

أ. **صورة الأمير من منظور الأنا:**

تحدّث الأمير عن ذاته في العديد من المواضع في مختلف المواقف، ومن خلال ذلك رسم صورة كلّها إيجابية له، وممّا بدأ به هذه الصّورة أنّ نسبه من جهة أمّه وأبيه ممتدّ إلى آل بيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، لذا يقول: "**نحن نختصّ عن كثير من النّاس بميزة خاصة [...] أبي إنّ نسبي منك ومن والدتي يمتدّ إلى بيت النّبوة إلى آل بيت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم**"[10]، وهذه ميزة فعلا قلّما يحظى بها المسلمون. وممّا يجدر ملاحظته أنّه منذ صغره كان له مكانة خاصة عند والده محي الدّين، الذي اصطحبه في رحلة إلى الحجاز للحجّ دون سائر القوم الذين طلبوا ذلك، لذلك يقول الأمير: "**فقد جعلني فارسا وأنا صغير، وتعمّد سفري معه، فعاينت برفقته شؤون الأمصار وشاهدت أحوال النّاس والرّعية وسياسات البلدان في مجابهة أيّ عدوان**"[11]، ومن جهة الأمير فقط كان بارّا بوالديه جدّا، وممّا يؤكّد هذا قوله الدّال: "**للحاج محي الدّين السّمع والطّاعة**"[12]. كما أنّه منذ صغره محبّ لوطنه، وهذا الحبّ سيكبر مع الأيام ليتحوّل فيما بعد إلى مقاومة، وعن حبّه لوطنه يعبّر قائلا: "**والله في كلّ مرّة أتحدّث مع نفسي عن وطننا الجزائر أجده راسخا في وجداني [...] إنّي من صلبك يا حاج، فلقد استمدّيت روح الحميّة منك**"[13]، وقبل أن يشرع في مقاومته تميّز عن أقرانه إذ كان فارسا شجاعا، وشاعرا فذّا لا يشقّ له غبار، لذا نجده يقول: "**والله يا أبي قد أعانني في امتطاء الفرس والشّعر معا هو ذلك السّائس الذي علّمني مجاراة الخيل عند امتطائه وزرع حبّ الشّعر وعذب الكلام في فؤادي**"[14]، ويؤكّد ذلك بقوله –حين الحوار مع والده–: "**كلّ الفرسان تأتي إلى هذا المكان. عبد القادر: وأنا واحد منهم**"[15]. ومع هذا كان الأمير محبّا للكتاب ومصاحبا له، إذ يهيم في عشقه، وقد عبّر عن ذلك صراحة بقوله: "**شغفي بالكتب لا مثيل له أبدا، فهي أبواب مغلقة، كلما فتحت صفحات أحدها استنار العقل وارتكزت الرّوح على حقائق وأخبار الأولين التي منها**

---

[10] عبد القادر قسمية: ثائر من الجزائر، ط 1، دار النّفائس، لبنان، 2015، ص 16

[11] المرجع نفسه، ص 95

[12] المرجع نفسه، ص 70

[13] المرجع نفسه، ص 30

[14] المرجع نفسه، ص 21

[15] المرجع نفسه، ص 32

نستفيد"[16]، ومحبّته لها لما يراه فيها من فائدة مرجوّة، تسمو بالعقل والفكر والرّوح. لذا نراه مهتما به أينما حلّ وارتحل فها هو في رحلة الحجّ عند زيارته لمدينة القاهرة يبدي رغبته الشّديدة لقراءة كلّ ما جمع والده من كتب، قائلا: "**لي رغبة يا حاج أن أقرأ كلّ هذه الكتب وآخذها معي إلى الجزائر**"[17]. وها هو في ظلّ المعارك الدّائرة نجده مهتما بالكتاب، مؤمنا بقدرته على إنارة فكر الإنسان والسّمو بعقله، لذا يقول: "**هنا بمشيئة الرّحمان سوف أقيم أكبر مكتبة، فيها كلّ المخطوطات والمراجع التي تنير العقول والقلوب معا**"[18]، فمن هذا نقرأ إذن بأنّ الأمير كان رجل علم وأدب وفكر، فهو مؤمن بأنّ قيام الأمم لا يكون بالسّلاح فقط، بل حتّى الفكر تقوم الأمم به وتنهض، ودليل هذا قوله: "**كلّ الأمور تكمل بعضها بعضا، وغنائم الفكر لها من الأهمية الكثير، فقيام الأمم ليس فقط بالسّيف والرّماح، بل أيضا عندما يستنير الباطن والعقل بأمهات الكتب ومدارك العلماء، وعلينا أن نحرص في كلّ مكان ننتقل إليه أن يكون لنا مقدار من المراجع والكتب [...] القصد منها تهذيب النّفس وإصلاح باطن النّاس، فيدان كلّ من يمزّق كتابا أو يدنّسه مهما كانت مشارب الكتاب ومضمونه**"[19]، ومن قوله الأخير هذا فهو يعتبر تمزيق الكتـــاب أو تدنيسه اعتداء وجرم يجب التّصدي له. وما يعجب له المرء أيضا في شخص الأمير أنّه متواضع جدّا مع أهله وخاصته، ومع كلّ من يتعامل أو يعرف، فهو لا يتعالى بحكم علمه أو منصبه، بل على العكس، نجده دائما على سجيّته، وهذا تؤكّده العديد من المواقف والأقوال، التي منها قوله: "**يا أبنائي ويا أهلي [...] أشكرك يا خيرة**"[20]، كما أنّ قوله هذا يعكس مدى لينه ومعاملته الطّيبة لأهل بيته.

وبعد أن شبّ الأمير، وحمل همّ الوطن والآخرين من أبناء بلده، ها هو في إطار مقاومته وجهاده يتحلّى بالعديد من الخصال الحميدة، ممّا بوأه مكانة رفيعة، أشاد بها العدو قبل الصّديق، نورد من أهمّها –حسب ما جاء على لسانه– ما يلي:

- **ثائرٌ لم يرض بالوضع القائم:** فمنذ فتوته دبّت في روحه نسمات النّضال والمقاومة، لترافقه على مدار عقود، مترجما إيّاها إلى أفعال، وكلّ هذا لأنّه غير راض عن الوضع القائم ببلاده التي أحبّها، فأراد استردادها، لذا يقول ملخّصا القول: "**والقصد من كلامي ألّا نقف مكتوفي الأيدي، والله يا حاج لو تقدّموا خطوة نحو أرضنا فسنكون جميعا لهم بالمرصاد، وإن استمرّوا بمحاصرة سواحلنا يجب أن نضع لهم حدّا لذلك**"[21]. وعندما آمن الأمير بالمقاومة نجده يدعو إليها فهي في نظره حقّ مشروع ضدّ كلّ من استلب الأرض أو استباح العرض، لذلك يقول: "**علينا بالمقاومة، فهي حقّ مشروع للجميع**

---

[16] المرجع نفسه، ص 31

[17] المرجع نفسه، ص 31

[18] المرجع نفسه، ص 84

[19] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها

[20] المرجع نفسه، ص 12

[21] المرجع نفسه، ص 50

ضدّ هؤلاء المعتدين"[22]. وفي إطار مقاومته يؤمن بالقوة في استرداد الحقوق، فـ **"ما أخذ بالقوة يجب أن يستردّ بالقوة"**[23]، وعمّن يمكنه أن يقوم بالمقاومة فهو يؤمن بأنّ أرض الجزائر لا أحد يمكنه أن يستردّها إلّا أبناؤها المخلصون، وهو يرى نفسه واحدا منهم، ابن للجزائر مخلصٌ، ويشهد عن هذا قوله: **"أرض الأجداد نحن من ندافع عنها ونستردّها من أيدي الغزاة الفرنسيين ولا أحد سوانا"**[24]. الأمير –إذن– ثائر لم يبخل عن وطنه بكلّ ما أوتي من قوة، يعتبر نفسه ناجحا لأنّه استطاع تأليب الأهالي على الأعداء، ودفع بأرواحهم للمقاومة، كما له إيمان عميق بأنّ فعله هذا بتقدير إلهي، لذلك يعبّر قائلا: **"عندما أمر الله أن أنهض ثائرا، نهضت وجعلت البارود يتحدّث حتّى أقصى حدود وسائلي وإمكاناتي، وعندما قدّر لي ربّ العباد أن أتوقّف توقّفت، لكن تركت في الجزائر ألوفا مؤلّفة من النّاس الذّين يتوقون للحرّية"**[25].

- **قائد للوحدة الجزائرية:** همّ الأمير أوّل الأمر بلمّ الشّمل وفضّ الخلافات والنّزاعات بين مختلف القبائل الجزائرية لأنّه أدرك بأنّ الوحدة سبيل من سبل إنجاح المقاومة وتأسيس الدّولة، فها هو يعبّر بقوله: **"لكن علينا أن نبدأ الآن بخطوة جمع شمل القبائل وفضّ الخلافات"**[26]، وفي إطار ذلك المسعى كان له سعي حثيث ومتواصل لتوحيد القبائل المختلفة ضدّ العدو لاسترداد الأرض والدّفاع عن العرض، لذلك ها هو يصرّح قائلا: **"علينا أن نجتمع برؤساء كلّ القبائل والعشائر وننظّم أنفسنا ونكون على أهبة الاستعداد في جميع القرى"**[27].
- **كارهٌ لقتال إخوانه الجزائريين:** فآخر ما يلجأ إليه الأمير، وأبغض ما يفعله مكرها، قتال إخوانه من الجزائريين الذين أبوا إلّا أن يكونوا في طريق مقاومته حجر عثر، أو خدّاما للغزاة، لذلك نجده قلّما يلجأ إلى هذا الفعل لأنّه يعرف تداعياته، ونتائجه الوخيمة على نفسية أبناء شعبه، وممّا قاله مؤكدا هذا: **"والله مكرها لا بطلا، وكما تعلم رضى الله هو المنى لينتفع النّاس من بعدي [...] فقد سخّرني المولى عزّ وجلّ كي أسهر على راحة أبناء بلدي وأُيقظ الإيمان وروابط الوحدة بما تقتضيه أمور القتال ضدّ المستعمر"**[28].
- **محسنٌ للأسرى:** من شيم الأمير في الحرب أنّه رحيم بالأسرى؛ لا يعتدي عليهم، ويأمر رجاله بالإحسان إليه وعدم إهانتهم، والأسرى من أبناء القبائل كما الأسرى من الغزاة على حدّ سواء، يكرمهم، وقد صدر عنه هذا الفعل الجميل في العديد من المواقف، لذلك نجده يقول فيها: **"والأسرى من بني جلدتكم ومن القبائل لا تُهان..."**[29]، وأيضا: **"إن كان لكم من**

---

[22] المرجع نفسه، ص 53

[23] المرجع نفسه، ص 54

[24] المرجع نفسه، ص 58

[25] المرجع نفسه، ص 170

[26] المرجع نفسه، ص 55

[27] المرجع نفسه، ص 54

[28] المرجع نفسه، ص 125

[29] المرجع نفسه، ص 76

أسرى العدوّ فلا يهان"[30]، وبفعله هذا نجده يتحدّى الغزاة ممّن أسروه وحاولوا النّيل منه، ويعطيهم أيضا درسا في معاملة الأسرى مستوحى من اقتدائه بالنّبي الكريم محمد صلّى الله عليه وسلّم الذي لم يشهد له إهانة الأسرى، لذلك يقول الأمير للآخر الفرنسي يوم لقائه به **"اسأل عن أسراكم عندنا كيف كانوا يعاملون ويُطعمون من زادنا"**[31].

- **ديمقراطيٌّ، عنوان للشورى:** وممّا يجدر ملاحظته بشكل كبير، ميل الأمير إلى مشاورة أصحابه، والعمل برأي الجماعة، أي أنّه لا يستفرد بالرأي، ولا يتعصّب، وبالخصوص إذا كانت المسألة متعلّقة بمصير الأمة، نجده دائم الجنوح إلى مشاورة أصحابه، بعد استخارة ربّ العالمين، وقد تكرّر هذا الفعل معه في جلّ معاركه، على مدار العقود، كما أنّه لا يتحرّج من مشاورة من هم أقلّ منه رتبة أو شأنا، وممّا يمكننا أن ندعم به هذا قوله: **"لقد شاورت الكثيرين، وبصفتك خليفتي هنا في معسكر، ما قولك في هذه المعاهدة وأمر الهدنة مرّة أخرى مع الفرنسيين"**[32]، وقوله: **"ولقد عاهدت نفسي أمر المشورة، فما الحيلة.. أخبروني ماذا نحن فاعلون؟"**[33]، وفي موقف ثالث: **"أستشير أهلي وأستخير ربي ليكتب سبحانه وتعالى لي ما هو خير أمري"**[34]، فبهذا يعلن الأمير عمّا له من فكر ديمقراطيّ سام.
- **مؤسّسٌ للعدالة الاجتماعية، وناصر للمظلومين:** عمل الأمير على تأسيس نظام يقيم العدالة الاجتماعية بين صفوف الجزائريين، وينصر المظلومين والمستضعفين، الذين كثيرا ما ذاد عنهم، فهو مدرك لما قد يقع من ظلم وجور عليهم، لذلك حاول حفظ حقوقهم، ومن بين السّبل التي انتهجها أنّه وظّف وسطاء شعبيين، متمثّلين في شخص البرّاح، لنقل الشّكاوي قصد استرجاع الحقوق، وهذا ممّا يعكس رغبته الملحة في التّأسيس للعدالة والحق، ومن بين ما يمكن أن ندعم به هذا، قوله: **"أن يجول البّراح في الأسواق ويسأل النّاس عن أيّ شكوى، حتى إن كانت ضدّي أو ضدّ أيّ قائد لي أو رئيس مجموعة، فيقوم بتدوينها كي تصل إلى المجلس دون وساطة، وإن تطلّب الأمر سعى مباشرة في استرداد حقّه"**[35]، وفي إطار سعي الأمير لإجلاء الهمّ عن أبناء بلده، والدّفاع عنهم يقول حين حواره مع زوجته:

"ألم تعلمي يا ربّة الخدر أنّني أجلي هموم القوم في يوم تجوالـــــــــــي

أدافع عنهم ما يخافون مـــــن ردى فيشكر كلّ الخلق من حسن أفعالي"[36]

---

[30] المرجع نفسه، ص 92

[31] المرجع نفسه، ص 157

[32] المرجع نفسه، ص 114

[33] المرجع نفسه، ص 143

[34] المرجع نفسه، ص 168

[35] المرجع نفسه، ص 96

[36] المرجع نفسه، ص 97

- **مسامحٌ كريمٌ**: عندما كان الأمير يدافع عن بلده، ويسعى لمقاومة الاستلاب، شهد غدرا وخيانة من بعض الجزائريين الذين خدموا المستعمر الفرنسي، فاعتدوا وعاثوا فسادا، لكنه غفر لهم زلّاتهم، بمجرّد التّوبة عن أخطائهم، والرّجوع إلى طريق الحق، وعليه؛ يُعتبر هذا الخُلق الحسن المتمثّل في العفو، من أجلّ وأرقى الأخلاق التي يمكن للمرء أن يتّصف بها، نبذا للعنف وإخمادا للفتن ما ظهر منها وما بطن، كما أنّه مدعاة لزوال التّعصب والتناحر في المجتمعات، وممّا يمكننا أن نأتي به ها هنا حواره مع عمّه بوطالب "**الشّيخ بوطالب: ولكن ماذا عن الأوغاد الذين حرقوا ونهبوا؟ لم تقتصّ منهم حتى الآن؟ الأمير عبد القادر: لقد عفوت عنهم وأصدرت بيانا يجال به في الأسواق يبلّغ فيه الأهالي بذلك، والنّتيجة أنّهم اعتذروا أمام كلّ الأهالي وأعلنوا الولاء... إلّا اليهود فقد غادرا مع ركب الفرنسيس [...] الحمد لله الذي ألهمني الصواب يا عمّاه، إنّ العفو عند المقدرة يغيّر ما في القلوب، وعدوّنا يسعى إلى بثّ الفرقة والشّقاق واختراق الصّفوف**"[37]
- **وفيّ بالعهود**: كان الأمير شديد الالتزام بالعهود؛ إذ لم ينقض العهد، ولم يغيّر أو يبدّل كلمته التي أعطاها للآخر، ويعتبر هذا راجع إلى التزامه الدّيني والأخلاقي الذي يفرض عليه ذلك، لذلك نجده يقول: "**نحن أبناء الدّين المحمدي نلتزم بالميثاق**"[38]، وقوله أيضا: "**فإنّ لنا دينا وأخلاقا عربية تلزمنا المحافظة على أقوالنا، وإنّني لا أغيّر قولي**"[39]، كما أنّه يتبرّأ من كلّ غدر وخيانة، لأنّها حسبه لن تصدر منه، لذلك نجده يقول: "**وإن نُقض العهد، فلست أنا من يفعل ذلك**"[40]، وهذا بالفعل ما حدث فكثيرا ما شهد في إطار مقاومته غدرا وخيانة وعدم التزام بالمواثيق والعهود التي كانت بينه وبين فرنسا، وأكبر دليل على ذلك الأسر الذي تعرّض بعد وصوله لميناء طولون بفرنسا، بعد أن اتفق مع الغزاة على الاستئمان، لكنهم غدروا به، وأسروه لعدّة سنوات في الأراضي الفرنسية. لذلك نجده يستنكر فعلهم الشّنيع هذا: "**خسئت طباعكم وذلّ ما أنتم فيه، لقد أخذتموني غدرا... لن تنجو من فعلتكم هذه، واعلم أنت ومن معك أنّ الأسود تبقى مخيفة في أسرها حتى وإن نبحت عليها الكلاب**"[41]
- **محتكمٌ إلى العقل**: رغم تعرّض الأمير للعديد من الخيانات والخيبات إلّا أنّنا نجده دائمَ الاحتكام إلى العقل، مستهديا به، متّكلا عليه لاتّخاذ قراراته المتعلّقة بالأمّة، في إطار الذّود عن وطنه، لذلك كثيرا ما كان متريّثا وآخذا للأمور بكلّ هدوء ورزانة، وممّا يقوله في هذا الإطار: "**فلا تكون ردّة فعلنا دون تحكيم العقل، ولا يجب أن يثنينا أيّ أمر عن القتال،**

---

[37] المرجع نفسه، ص 106

[38] المرجع نفسه، ص 148

[39] المرجع نفسه، ص 117

[40] المرجع نفسه، ص 118

[41] المرجع نفسه، ص 153

فالحقّ معنا، وهذه أرضنا ولكن ليس الأمر اعتباطا"[42]، فالأمير بتريّثه وعدم أخذه للأمور بتهوّر لأكبر دليل على ما سبق وأن أوردناه، والمتعلّق بميله للشورى والاحتكام إلى العقل.

- **مرهقٌ للغزاة ومصدر قلق مستمرّ لهم**: كان الأمير على الدّوام مصدر قلق ورعب للمستعمر الفرنسي، ففي الكثير من الأحيان كان مرهقا لهم، كلّفهم الكثير بما له من حنكة وحسن إدارة للمعارك، ومعرفة للمسالك والممالك، حتى لجأ المستعمر إلى الكثير من الحيل معه، فهادنه، لكن الأمير كان أذكى فأسّس جيشا زاد به من رعب الغزاة، ولا سيما أنّ الصّفة الملازمة للأمير كانت الإقدام، وممّا يؤكّد هذا قول الأمير: "**يا إخواني، قد مضت سبعة عشرة سنة أقتحم الممالك، وأملأ بالجيوش الجرّارة الفجاج والمسالك. وأستحقر العدوّ على كثرته وأستسهل استصعابه، أتوغّل غير خائف وأرتّب له في طريقه المصائد وأشفي غليلي... تارة أنقضّ عليه انقضاض الجارح... وتارة أخرى أنصبُّ إليه انصباب الطّير المازح**"[43]
- **ثابتٌ غير راضخ للإغراءات**: تلقى الأمير العديد من الإغراءات من المستعمر الفرنسي، لكنّ إيمانه بقضيّته حال بينه وبين التّنازل الذي برهن على عدم الإيمان به في العديد من المواقف، فقناعته كانت فعلا كنزا، ومبادئه التي آمن بها كانت مصدر تعفّفه، فها هو يقتاد في أسره في فرنسا، إلّا أنّه بقي ثابتا لم يساوم ولم ينبطح للغزاة، قائلا: "**والله لو فرشتم سهول فرنسا ومسالكها بالدّيباج... ما رضيت المقام بينكم، والله إن تأتوا لي بكلّ ثروات بلدكم وتضعوها في ذيل هذا البرنس لرميتها في البحر الذي يلطم جدران سجني**"[44]. فإيمانه بقضيته جعله لا يرضخ للإغراءات ولا يساوم، ولا يطمح إلى ما عند المستعمر ليبيع قضيته وهذا ما أكّد عليه في موقف آخر قائلا: "**أمّا عن باريسكم هذه فلا أريدها، فلست الخديوي باشا مصر من يرى باريس وغيرها من أمصار فرنسا متنزّها يمرح فيه كيف شاء، إنّي أرى فرنسا الآن ما هي إلّا سجن لي ولمن معي**"[45]. إذن، الأمير لا يبيع ولا يشتري، مقتديا في أفعاله بالرّسول محمد صلّى الله عليه وسلّم، عندما طلبت منه قريش ترك دينه، فأجاب بأن لو وضعوا الشّمس في يمينه والقمر في شماله ما ترك دينه، فها هو الأمير على نهج الرّسول الكريم، معلنا ذلك صراحة ومؤكّدا إيّاه بقوله: "**والله لو جمعت فرنسا سائر أموالها وخيّرتني بين أن أخذها وأكون عبدا، وبين أن أكون حرّا فقيرا معدما، لاخترت الفقر في سبيل الحرّية**"[46].
- **منفتحٌ، ومحسنٌ معاملته للآخر**: تعامل الأمير مع الآخر المختلف عنه ثقافيا وعقديا، ولم يكن ينظر إليه نظرة دونية أو بتعال، وبعجرفة، بل على العكس تماما، أحسن استقبالهم، والاحتكاك بهم، ممّا يدلّ على انفتاح الأمير، فدفع هذا الفعل

---

[42] المرجع نفسه، ص 136

[43] المرجع نفسه، ص 143

[44] المرجع نفسه، ص 157

[45] المرجع نفسه، ص 158

[46] المرجع نفسه، ص 170

الحسن بالآخرين إلى الإعجاب بشخص الأمير، العربيّ المسلم. وما يجلي لنا انفتاح الأمير بشكل واضح دفاعه عن المسيحيين رغم اختلافه العقدي معهم، ممّا يؤكّد ويبرهن على سمو فكره، وروحه الطّيبة، ويمكننا أن نؤكّد هذا بقوله: **"فقد اجتمع النّاس من حولنا، وقيل لي أنّ بعض النّاس كانوا يردّدون عبارات تدعوا لفكّ أسرنا، حتّى من زارني اليوم من الرّهبان والقسيسين وجدت لديهم السّماحة وأنصتوا لي لساعات"**[47]، وقوله أيضا: **"أمّا إن تفاقمت الأمور وانتقلت الفتنة إلى دمشق فإنّي ألتزم بحماية كلّ المسيحيين، وإن اقتضى الأمر إلى جمع كلّ الجزائريين هنا للذود عنهم وعن ممتلكاتهم"**[48]، فأفعال الأمير-إذن- كسبت قلوب الأعداء، وأكّدت نبل ودماثة أخلاقه، وعدم تعصّبه. وممّا يؤكّد أيضا انفتاحه، ورغبته الملحّة في خدمة الإسلام هو ذاك التّحاور الذي أقامه مع المسيحيين، لذلك يقول: **"فسجني في فرنسا أعطاني فرصة التّحاور مع أبناء الدّين المسيحي وطرح أسس سماحة الإسلام وأعمدة التّواصل والتّحاور بالتي هي أحسن"**[49]

- **ذو مكانة عند العدو قبل الصّديق:** حظي الأمير بمكانة سامية، منذ أن كان فتى، لكنّ هذه تجلّت أكثر بعد مقاومته للغزاة، وتحقيق النّصر عليهم، ممّا دفعهم في الكثير من الأحيان إلى عقد معاهدات معه، ممّا يوحي بغلبته وتفوقه، فمن هذا ومن أخلاقه الحسنة التي عرفت عنه، تبوّأ مكانة أعجب بها العدو قبل الصّديق، فها هو حاكم فرنسا ينزل إليه وهو في أسره في مدينة بعيدة عن عاصمة الحكم، ويمدحه، ويكرم نزله، بل ويتفاخر به أمام مجلس أمّته، ويكرّمه، وعن هذه الحوادث يقول الأمير: **"ما سرّ زيارة حاكم فرنسا لويس نابليون لي في هذا السّجن الذي لا تطيقه حتّى هذه القبور"**[50]، وأيضا: **"هيا بنا الآن فلقد أعدّوا لنا ما أسموه بتكريم، وإن كان لا شأن لي به ولا بجموع قياداتهم الذين ينتظرون قدومنا"**[51]، وأكثر من ذلك هو حسن الاستقبال الذي حظي به عند نزوله باريس متوجها للتكريم، والذي قلّما يحظى به أيّ زعيم عربي، والفضل في كلّ هذا يعود إلى ما عرف عن الأمير من أخلاق رفيعة، وخصال حميدة، شهد لها الجميع، وعن هذه الحادثة يقول الأمير: **"لقد غصّت شوارع باريس بجماهير النّاس واستقبلنا وزراء هذه الأمة ووجهاؤها [...]"**[52]. ولم يحظ الأمير بمكانة عند الفرنسيين فقط، بل حتّى عند إخوانه العرب، الشّاهد عنها حسن الاستقبال، من قبل الوفود المتزاحمة لرأيته، وهو في طريقه لدمشق، لذلك نجده يقول: **"فمن أرض لبنان استقبلتني الوفود وأكرم مقام آل أرسلان وها أنتم الآن وجموع النّاس والأعيان ووفود المغاربة القاطنين قد نقلتني في موكب عظيم إلى دمشق."**[53]

---

[47] المرجع نفسه، ص 160

[48] المرجع نفسه، ص 182

[49] المرجع نفسه، ص 189

[50] المرجع نفسه، ص 167

[51] المرجع نفسه، ص 168

[52] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها

[53] المرجع نفسه، ص 174

- **جريءٌ**: تميّز الأمير بجرأته في الكثير من المواقف، ممّا يدلّ على روحه النّضالية الشّريفة، التي تأبى المساومة أو الخضوع، فها هو على سبيل المثال يقول كلمته عن حاكم فرنسا دون خشية أو خوف وأمام الجميع؛ إذ يمدحه بالإشادة بأخلاقه، ويذمّه لما له من روح المستعمر المتعالي، لذلك نجده يقول: "**حضرة الإمبراطور، قد كنت أسمع بمحاسن أخلاقكم وعلوّ جانبكم الذي لا يشبه حكمكم، وها أنا الآن شاهد على هذا الأمر وإن كان يحمل التّناقض وروح المستعمر المتعالي... الحرّية مبلغ عظيم أتمنّاه لبلدي الجزائر قبل أن أتمنّاه لنفسي**"[54]

إذن، تأسيسا على ما سبق، ما يمكن أن نقوله، أنّ الأمير يرسم صورة إيجابية لنفسه، عن طريق تعريفنا بأخلاقه، ومواقفه المشرّفة، وتضحياته في سبيل تحرير بلده. فهل ستستمرّ معنا هذه الصّورة المشرقة والمشرّفة عندما يتحدّث عنه أهله وخاصته؟

ب. **صورة الأمير من منظور الأنا الجمعيّة:**

على غرار الصّورة السّابقة التي رسمها الأمير لنفسه، نجد بأنّ أهله وخاصته قد رسموا له صورة سنحاول تبيّن معالمها، فيما يلي:

الأمير مصدر فخر لوالده منذ الصّغر، ذلك لأنّه وجد فيه اهتماما بالمعرفة؛ إذ أنّ له روح طالب العلم المثابر، السّاعي إلى العلا، المناقش الرّصين، الخادم للدين الإسلامي؛ بتعريف النّاس به، وبسماحته، ويسره، المستزيد من العلم والأدب في كلّ الأوقات، فها هو يقول عنه: "**لقد سررت أيّما سرور عندما رأيتك تشارك في كلّ حلقة من حلقات الدّين والمعرفة التي نزورها وتناقش النّاس وتعرّفهم سماحة هذا الدّين ويسره ورُقيّه، وكيف أنّه منارة تنير العقول والقلوب ضدّ الجهل والظّلمة المفسدين، لقد أصبحت فتى يافعا ويزداد اطّلاعك على العلم والدّين والأدب يوما بعد يوم**"[55]، ولم يكتف الأمير بهذا عندما أصبح فتى يافعا، بل اتّجه إلى قول الشعر والفروسية، ممّا زاد من إعجاب والده به، وكذا أصبح موجّها ونصيرا للدين والمظلومين والمستضعفين، معترفا بأنّ كلّ الفضل يعود لله، وقد ورد ما سبق في قول والده الدّال: "**والله إنّي أفتخر به حيثما نزلت وارتحلت، ففي الشّعر تجده شاعرا متأملا في ملكوت الله، وفي الدّين فقيها وموجها وعاشقا لربّ العباد، وعند النّزال تراه فارسا لا يشقّ له غبار، ولا يهزم في حلبة النّزال، ويسعى لإحقاق الحقّ ودفع الغبن عن أيّ مظلمة يراها أو تجبُّر، وإن سألته كيف السّبيل إلى ذلك أجاب إنّه استعان بما كرّمه الله به**"[56]، وهذه المرتبة الرّفيعة هي ما ابتغاها له والده، لذلك نجده مسرورا به أيّما سرور، معبّرا عن ذلك قائلا: "**وأحمد الله كثيرا أنّي أراك مثلما تمنّيت أن تكون، فارسا مثابرا وثائرا**"[57].

---

[54] المرجع نفسه، ص 169

[55] المرجع نفسه، ص 20

[56] المرجع نفسه، ص 39

[57] المرجع نفسه، ص 81

ولم يتوّقف الأمر عند والده، بل حتّى أهله وخاصته شهدوا له أيضا بتمكّنه في قول الشّعر، فلقد كان شاعرا فذّا، يقول أعذب الكلام وأجوده، بدليل أنّ "**كلامه موزون**"[58]، و"**يتحدث بلسان الشّاعر**"[59]، ويرى ببصيرته الشّعرية ما لا يراه غيره[60]، فعلا كان مبدعا، ونال إعجاب الآخرين، لذلك نجد منهم من يصرّح بذلك قائلا: "**ما أبدعك في الشّعر**"[61]. وإضافة إلى هذا عشق الأمير الكتب، فأثنى عليه الكثيرون من أهله وخاصته، إذ لاحظوا شدّة تعلّقه بالكتاب حتّى أثناء الحرب، ممّا يعكس حبّه له، وإيمانه بما للقراءة من قدرة على الرّفع بالإنسان، فها هو أحد رجالاته –بعد أن علم من الأمير رغبته في بناء أكبر مكتبة للكتب والمخطوطات– يقول: "**جميل جدّا.. كم سيكون الأمر رائعا، لقد أدركت عشقك للكتب، حتّى المعارك كنت تحرص أن تجلب ما غنمنا من الكتب، حتّى إنّك كنت تكافئ من يأتيك بكتاب وتسرّ به أكثر ممّا يُغنم من الأسرى أو السّلاح**"[62]. إذن هذا القول الصّريح يؤكّد عشق الأمير للكتب، وسروره بها، ولجوئه إلى مكافأة من يأتيه بها. وممّا انعكس عليه فعل القراءة هذا أنْ جعل من الأمير متحدّثا لبقا وبارعا، يحسن الحديث المنطقيّ والصّائب، الذي يسحر به كلّ من يستمع إليه، لذلك أثنى عليه الكثيرون، ومنهم من قال: "**قولك صواب كعادتك وتنتقي أحسن الكلام**"[63]، وأيضا: "**كلامك يا بني دائما يهذّب النّفس ويهدّئها**"[64]، وليس هذا فقط، فلقد امتزج حسن الكلام مع الرّغبة المستمرة في السّؤال والتّفكير قصد المعرفة، فنال بها إعجاب آخرين، فعبّروا بقولهم: "**أحسنت، كم أفتخر بك يا بني وبسحر حديثك.. مذ كنت صغيرا لا يتوقّف لسانك وترجمان عقلك عن السّؤال قصد المعرفة.. تبهرني في كلّ مرّة، فكلامك إلى القلب مباشرة**"[65].

وعندما اشتدّ عود الأمير، تملّكته روح المقاومة فلجأ إلى أوّل خطوة بعد مبايعته، والمتمثّلة في توحيد القبائل وإذابة الصّراعات، ونشر الحقّ والعدل بين من وضعوا ثقتهم فيه، من أبناء بلده، لذلك نجده مضّحيا، وها هي زوجته تؤكّد ذلك قائلة: "**فمذ ركب صهوة جواده وحمل سيفه يجول بين القبائل ليوحّدهم لم أعد أراه**"[66]، وكلّ هذه الأفعال والتّضحيات صارت مصدر إعجاب لدى الكثيرين، لذلك نجد أحدهم يقول: "**والله يا أمير مذ حللت قائدا جمعتنا على العدل والحقّ**"[67]، وقد كان ممّا أعجب به الجميع في إطار مقاومته، أنّه ضحّى بالغالي والنّفيس في سبيل بلده، إذ يقول أحد من أصحابه: "**فلم يدّخر جهدا طيلة**

---

[58] المرجع نفسه، ص 21

[59] المرجع نفسه، ص 20

[60] يُنظر المرجع نفسه، ص 23

[61] المرجع نفسه، ص 91

[62] المرجع نفسه، ص 84

[63] المرجع نفسه، ص 36

[64] المرجع نفسه، ص 166

[65] المرجع نفسه، ص 20

[66] المرجع نفسه، ص 60

[67] المرجع نفسه، ص 105

حياته.. ولا يزال صامدا"[68]، كما أنّه كان كثير الدّفاع عن الحق بكلّ ما استطاع من طرق مشروعة، رافعا الظّلم عن المظلومين والمستضعفين، فها هو أحد صحبه يصرّح بذلك قائلا: "**بوركت بما قلت، فالدّفاع عن الحقّ ورفع الظّلم واجب بكلّ الطّرق**"[69]، وها هو عمّه يعجب به أيضا لأنّه ناصر للدين والحق، مؤكّدا دفاعه عن المظلومين والمستضعفين كما أشرنا: "**الشّيخ بوطالب: أحمد الله على العيشة الهنيّة ورؤية ابن أخي ناصرا للدين والنّاس... وللحقّ مهديا**"[70]. وفوق كلّ هذا كان للأمير قدرات عسكرية فائقة، أدت به في الكثير من الأحيان إلى التّغلب على الغزاة الفرنسيين، لذلك أثنى عليه الكثيرين، فمن بينهم من قال عنه: "**والله إنّ سيف عبد القادر يقطف الرؤوس كلمح البصر**"[71]، فمن هذا نستشفّ أنّه كان يُحكم استعمال السّيف وله حضور قويّ وسط ساحة المعركة، بما له من قدرة بدنيّة ومهارة وتحكّم، كما أنّ هناك من أثنى عليها قائلا: "**أحسنت يا بني... لقد أبهرتني بصولاتك في أرض المعركة، وأرعبت العدو**"[72]، مع هذا شهد له والده بالمقدرة؛ إذ كان مقتدرا من حيث التّأثير على النّاس، وهذا ما ظهر كثيرا في تحفيزه للعساكر في ساحة المعركة، وعن اقتداره عموما يقوله والده عنه: "**ولكنّ عبد القادر أقدر منّي على ذلك، فهو من أحيا النّاس بعدما حلّ الضّعف والهوان**"[73]

وعن كلّ ما سبق استطاع الأمير أن يكوّن له مكانة سامية ومرموقة قلّ من يضاهيه فيها، فها هو يُستقبل مثل استقبال الإمبراطور في فرنسا، وينافس جنرالاتهم في عقر دارهم بما حظي به من الرّفعة والسّمو، لذلك نجد أحد خلفائه متحدّثا معه قائلا: "**لقد ضاق صدر الجنرال لامورسير حين رآك في طرقات باريس والنّاس تتدافع وتتزاحم لتحيّيك دون أن يصيبك مكروه**"[74]، وممّا يمكن قوله في هذا الصّدد أنّ الأمير خلّد اسمه في سجلّ التّاريخ بجميل الفعل حتّى صار "**مضرب الأمثال في الرّفعة والنّبل والنّضال**"[75]. ورغم مغادرة الأمير لبلده كان لا يزال مصدر قلق وإزعاج للغزاة، وذلك لما فعله فيهم طيلة نضاله ضدّهم، فها هي أمّه محاورة إياه تقول: "**ما فعلته طيلة هذه السّنين لأمر عظيم، وأنت قلتها الآن: الرّوح هنالك. فروحك تُرعب المستعمر**"[76].

ولم تكن هذه هي الميزات الوحيدة التي ترسم لنا صورة الأمير، بل مع ما سبق نجد ميزات أخرى يمكن أن نجملها فيما يلي:

---

[68] المرجع نفسه، ص 12
[69] المرجع نفسه، ص 18
[70] المرجع نفسه، ص 124
[71] المرجع نفسه، ص 63
[72] المرجع نفسه، ص 64
[73] المرجع نفسه، ص 68
[74] المرجع نفسه، ص 168
[75] المرجع نفسه، ص 189
[76] المرجع نفسه، ص 151

- لا يتحرّج من اللّجوء إلى المشورة في كلّ مرّة، وهذا سبب من أسباب قوتّه: **"ودعوته لهم للمشورة في الأمر"**[77]
- يلاحظ كلّ شيء من حوله، ممّا يدلّ على أنّه فطن ونبه: **"كعادتك شديد الملاحظة دائما"**[78]
- باعتباره كان قائدا، فلقد كان يرى ما لا يراه غير ببصيرة متوقدة: **"والله بصرك وبصيرتك ترى ما لا نراه سيدي الأمير"**[79]
- رغم كثرة أخطاء الآخرين فلقد كان كثير التّسامح معهم، ممّا يدلّ على تعقله، وعدم لجوئه إلى العنف: **"الشّيخ بوطالب: حسبك يا بني، لا تلم نفسك، فقد سبق عفوك سيفك دائما"**[80]، فالسّماحة كانت عنوان الأمير: **"لالّة خيرة: السّماحة يشعّ بريقها منك دائما"**[81]
- الأمير دالّ على الخير وفاعل له، ينفق من ماله في سبيل الله، خادم للدين، كريم بالقول والعمل، وهذا ما يتأكّد في عديد المواقف، فها هو يشتري الدّار التي كان يتعلّم بها الأطفال على يدي الشّيخ يوسف بدر الدّين في دمشق ويهبها له: **"الشّيخ يوسف بدر الدّين: بوركت يا بني، فالدّال على الخير كفاعله، وأنت دللت على الخير وفعلته أيضا... والله لقد أنقذت هذه البقعة المباركة ورفعت شكواي من زوايا الإهمال عند السّلطان، وأنفقت من مالك فاشتريت الدّار ووهبتها"**[82]

في ختام حديثنا عن صورة الأمير مثلما رسمها له أهله وخاصته، نؤكّد مرّة أخرى بأنّها صورة إيجابية، خالية من كلّ ما يشوبها من سلب، تعكس لنا هذه الصّورة المشعّة بالنّور والبهاء قائدا عربيّا مسلما، فارسا شجاعا، وشاعرا فحلا، مؤمنا بمبادئه وقيمه الإسلامية الرّاسخة، خادما للإسلام وأهله، متواضعا حليما. وعليه إجابة عمّا طرحنا من سؤال سابق، نقول أنّ الصّورة المشرقة والمشرّفة للأمير استمرّت معنا ها هنا أيضا، لكن هذه المرّة كانت من قبل أهله وخاصّته.

ت. **صورة الأمير من منظور الآخر:**

وفي مختلف مراحل حياته احتكّ الأمير بالآخر؛ الغزاة الفرنسيون، أو المسيحيون في فرنسا أو دمشق، فكانت العلاقات متباينة، فبينه وبين المستعمر الفرنسي شهدت احتداما وصراعا وتنافرا، كما شهدت -تحت ظرف آخر- تواصلا لغايات متعدّدة، ومن جهة أخرى إذا نظرنا إلى المعتقد فلقد شهدت العلاقات بينه وبين مسيحيي فرنسا أو الشّام علاقات مستقرّة

---

[77] المرجع نفسه، ص 144
[78] المرجع نفسه، ص 42
[79] المرجع نفسه، ص 84
[80] المرجع نفسه، ص 125
[81] المرجع نفسه، ص 160
[82] المرجع نفسه، ص 179-180

في أغليها، بكثير من روح التّسامح والإنسانية، وهذه العلاقات أثّرت بشكل أو بآخر في صورة الأمير، التي نرصدها كما يلي:

- **الغزاة الفرنسيون:** رسم هؤلاء للأمير صورة إيجابية، فيها الكثير من الإعجاب والمدح والثّناء عليه، لذا سنحاول تبيّنها من خلال أقوالهم:

فمنذ أن وطأت أقدام الغزاة أرض الجزائر، كان الأمير مترصّدا إيّاهم، ومقاوما مرهقا لهم، على مدار عقود، فكان أن شكّل لهم مصدر قلق ورعب يخافونه ويخشونه، وقد حدث هذا الأمر مع العديد من جنرالاتهم، حتى اشتكى هؤلاء إلى ملوكهم، وممّا يمكننا أن نمثّل به ها هنا قول الملك: "**من يكون هذا عبد القادر حتّى يبيد جنودنا ويستنجد منه قادتنا ويوقف تقدّمنا؟؟ كيف لجنرال يصاب بالهوس والخوف بعد أن كان يدعو لاحتلال شامل للجزائر**"[83]، والأمير في نظرهم أيضا عسكري محنّك، استطاع بمعرفته وتفوّقه المشهود به له، أن يصعّب عليهم غزوهم، فها هم أعتى الجنرالات يهابونه، ويشتكون منه، وكتأكيد لما سبق نورد قول حاكم الجزائر دامرمون "**جنرال بيجو [...] للأسف أصبحت مهمتنا تحمل جانبا من الصّعوبة، ولكن ليست مستحيلة، عبد القادر من أصعب من يحاربنا الآن ويعيق تقدّمنا وتحقيق أهدافنا التي جئنا من أجلها، فهو يعرف المسالك على الأرض ويعرف كيف ينظّم حركة جيشه في كلّ الاتجاهات**"[84]، إذن فالأمير هو الأقدر والأعرف من وجهة نظرهم، لذلك لجأ هؤلاء اضطرارا إلى تغيير سبل الغزو، فلقد كبّدهم خسائر غير مسبوقة حسبهم، لما له من بعد نظر، وحنكة وبصيرة، وقد صرّح بها الغزاة قائلين: "**إذا يجب أن نبتكر طرقا جديدة للوصول إليه ومن معه، فلقد انزلق بين طوابيرنا كلّ هذه السّنين، وضرب جيوشنا من خلفنا ومن أمامنا وكأنّه يقرأ أفكارنا**"[85]. وممّا انزعج له جنرالات فرنسا أنّ رجال الأمير رغم مساومتهم بإغراءات كثيرة، إلّا أنّهم رفضوا خيانته، فالأمير مارس عليهم تأثيرا كبيرا وسحرا؛ فبإحسانه كسب قلوبهم، حتّى أبدى الجنرال بيجو انزعاجه فقال: "**توقف.. توقف. تبا.. أغبياء.. سوف يموتون على يدي، لقد سحرهم عبد القادر هذا**"[86]. وفي إطار مقاومته أيضا، رغم ليونته التي أبداها، إلّا أنّه كثيرا ما كان صارما لا يتنازل ولا يعترف بأوامر الآخر المحتل، إذ يفرض كلمته وقراره على المستعمر، وينعكس هذا من خلال حوار صاحب الأمير مع الجنرال لامورسيـــر: "**قدور بن علال: مولاي الأمير عبد القادر بعث لك الرّد في هذه**

[83] المرجع نفسه، ص 109

[84] المرجع نفسه، ص 113

[85] المرجع نفسه، ص 133

[86] المرجع نفسه، ص 135

الرّسالة، ويقول: إنّه لا تفاوض في شروطها. الجنرال لامورسير: حسنا، أخبره أنّني موافق بالنّيابة عن ملك فرنسا"[87].

حظي الأمير بمكانة سامية، شهد لها الآخر المستعمر الفرنسي، في العديد من المواقف، فها هو الأمير يغادر بلده مكرها بعد أن أعيته الانشقاقات بعد عقود من المقاومة، ليشاهد الغزاة مكانة الأمير عند الجزائريين، تتراءى أمامهم، فلقد خلّد الأمير اسمه في أذهان الأهالي بما له من مواقف بطوليّة مشرّفة، دفعت بهم إلى التّعبير عن رفضهم لمغادرته، لكن فرنسا لم تتجرأ وتردع هذه الانتفاضة الرّمزية، خوفا من تعقيد الوضع أكثر، لذلك نجد الجنرال لامورسير يقول: **"لا... لا تفعل هذا الآن، علينا أن ننتظر بعض الوقت كي ينساه الجميع... فاسمه كفيل بأن يحفّز الأهالي ويثوروا علينا من جديد"**[88].

وبالمكانة التي وصل إليها الأمير، وصل الضّباط الفرنسيون أيضا بسببه إلى مراكز قيادية ما كانوا ليحلموا بها لولاه، فلقد منحهم أماكن ونياشين ورتب من جراء مجابهتهم له، فها هو الأمير يتكرّم بدون قصد منه على الغزاة، والشّاهد ها هنا قول أحد الجنرالات: **"هل تعلم أنّه لولا الحروب مع عبد القادر كنت سوف أبقى ضابطا صغيرا مثلما جئت من فرنسا، ولولاه ما تحصّلت على هذه الرّتب والنّياشين، ومثلي الكثير"**[89].

ولم يشهد الأمير مكانة سامية عند أهله وخاصته فقط، بل حتى الغزاة في عقر دارهم شهدوا له بعلوّ المكانة والرّفعة والسّمو، لذلك نجده يحظى بتقدير واحترام الجميع حتّى وهو في أسره جنوب فرنسا؛ من جرّاء أعماله الخيرية الشّاهدة على نبله وكرمه، وفكره النّبيل الذي يستضاء به، وحديثه السّاحر، وروحه الثّائرة، وعدم الوفاء بالعهد تجاهه، ليكسب –بذلك– قلوب الفرنسيين فيتعاطفوا معه، ومن ثمّة يصير في نظرهم رمزا للكفاح والتّحرّر، فها هو عمدة مدينة بو التي أسر فيها الأمير لسنين يقول: "**جئت اليوم لأودعك أيّها الأمير، لك منّي كلّ الاحترام والتّقدير، فأنت فعلا مرآة شعبك هنا ونساند قضّيتك [...] أعمالك الخيرية تشهد لك بنبلك وفكرك المستنير يضيء دروب كلّ من جلس يسمعك، وها هم النّاس يتدافعون لتوديعك وفاء لك [...] كم هو موزون كلامك سيدي الأمير، رافقتك السّلامة، ومدينتنا لن تنسى روحك الثّائرة أبدا"**[90]. ولم يتوّقف الأمر عند عمدة بو وسكّان مدينته، بل تجاوزه إلى حاكم فرنسا هو الآخر، الذي أبدى إعجابه بالأمير ، نتيجة ما قام به من فتح حوار بين الأديان والثّقافات، دون أيّ تعال أو نرجسية وغرور، ودون تقزيم للآخر أو للأنا، وما همّ به الأمير لم يكن معروفا حتّى على مستواهم، فها هو الأمير إذن يعلّم من ادعوا التّحضر والتّفوق في عقر دارهم، ويمكننا ها هنا أن نورد قولا

---

[87] المرجع نفسه، ص 147

[88] المرجع نفسه، ص 151

[89] المرجع نفسه، الصّفحة نفسها

[90] المرجع نفسه، ص 163

دالّا للحاكم لويس نابليون الثّالث، لندعم ما ذهبنا إليه: "**وأنا جئتك لهذا، ولا أخفي أنّي معجب بشخصك، وقد فتحت يا عبد القادر خطابا لم نكن نعرفه بين الأديان، وزيارتك لباريس هي زيارة لتوقيع ورقة سفرك نحو المشرق، وهذا وعد منّي**"[91].

ولأنّ مكانة الأمير عند الآخر كانت سامية، ها هو الآن أمام مجلس الأمّة في باريس مكرها، والمدافع عنه والمعرّف به حاكم فرنسا آنذاك لويس نابليون، أوّل رجل هناك، ممّا يدلّ على أنّ الأمير فعلا كان بطلا قوميا وأكثر، فلقد أشاد الإمبراطور بأخلاقه وصفاته الحميدة، وعلمه وحتّى شهرة نضاله التي جاءت بالنّاس إلى باريس من كلّ حدب وصوب ليشاهدوه، فهو رمز للنضال والمقاومة في نظرهم أيضا، لذلك يقول الإمبراطور لويس نابليون: "**الأمير عبد القادر معنا الآن، وقد سلب القلوب وهرع النّاس في باريس من كلّ فجّ ليشاهدوه، ومن جهتي فلقد جلبت دقّة نظري واستلزمت محبتي بما اشتهرت به من الخصال الحميدة والبسالة والشّجاعة [...] فهذا لا يمنعني أن أعترف بأخلاقك العالية وعلمك البليغ وشجاعتك وصبرك على الشّدائد، ولذلك أفتخر بإطلاقك، فلقد غدوت رمزا في كلّ أقطار العالم**"[92]. وعن هذه المكانة فلقد لازمته حتّى حين انتقاله إلى دمشق، فالأمير في نظر الآخر الغازي، أسطورة في النّضال والعلم حتى وإن كان بعيدا عن موطنه ودليل ذلك قول القنصل الفرنسي أوتري: "**وأخشى تجمّع النّاس من حوله، فقد أصبح أسطورة النّضال والعلم هنا أيضا**"[93].

شهد الآخر للأمير بدماثة الأخلاق، التي يعكسها مساعدته للفقراء والمستضعفين، ومساعدته لأبناء غير ملّته، فها هو الضّابط كورنيل أولفيان مسّلما أمانة الأمير للأسقف دوبوش في إحدى كنائس فرنسا: "**جئتك بنفسي لتسليمك هذه الأمانة كما يسمّيها عبد القادر، يقول إنّها مساعدة بسيطة للفقراء، ودعما لمركز الرّعاية عندك**"[94]، وتنعكس أيضا من خلال حمايته لهؤلاء المستضعفين، حتى وإن كانوا من المسيحيين الذين تعرَّضوا في دمشق لاعتداءات دفعت بالأمير إلى حمايتهم وتأمينهم، رغم اختلافهم العقدي معه، ممّا نال به شرف المكانة التي حظي به، فأفعاله كانت مصدر إعجاب وسرور للآخرين، مع أنّه يرى بأّنها نابعة من صميم دينه وإنسانيته، وحواره مع الجنرال بوفور يكشف ذلك: "**لقد بلغني أنّ صحيفة قد كتبت عنك، أنّه كان مرورا عظيما لحفيد النّبي محمد محاطا بالقساوسة والرّاهبات والأطفال الذين انتشلهم من الموت رفقة جنودك الجزائريين القدامى الذين حموهم من القتلة. الأمير عبد القادر: [...] وإنّ سعينا لإطفاء نار الفتنة لا ينبع مطلقا من اهتمام بمصالح سياسية لأيّ طرف، إنّما هو ما أمرنا الله به من الوقوف مع المستضعفين ورفع الضّيم عنهم، وتغيير للمنكر،**

---

[91] المرجع نفسه، ص 167

[92] المرجع نفسه، ص 169

[93] المرجع نفسه، ص 178

[94] المرجع نفسه، ص 161

وهو منهاج سماحة ديننا الإسلام"[95]، كما أنّ هذا القول الأخير للأمير يظهر جليّا أنّ فعله المتمثّل في حماية المظلومين المسيحيين ليس نابعا من اهتمامه بالمصلحة الخاصة والضّيقة، بل هو امتثاله الدّائم لأوامر الله عزّ وجلّ في نصرة المظلومين والمستضعفين، وتغيير المنكر ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

- **المسيحيّون خاصّة:** لم يتوان المسيحيون أيضا من رسم صورة للأمير، نتيجة ما حظوا به من حسن تعامل، ولين، وانفتاح عليهم، وتواضع جمّ معهم، ومساعدة لقوها في العديد من المواقف ولا أدلّ عليها من فعله الذي أشرنا إليه سابقا، فالأمير كثيرا ما أحيا في نفوسهم رغبة لقائه ومجالسته، وقد حظي بها كثيرون، نساء ورجالا، فأشادوا بعد لقائهم بأخلاقه الحسنة، وعلمه الغزيز، ورفعته، وإيمانه الشّديد، والعمل بالمشترك تفاديا لإزعاج الآخرين، وممّا نال إعجابهم أكثر، بُعد الأمير عن الماديات وحبّه للروحانيات نتيجة تصوّفه، فسحر بذلك قلوبهم، وكثيرا ما تعاطفوا معه وهو في الأسر، وممّا نؤكّد به ما سبق حديثه الذي دار بينه وبين الرّاهبة إميلي "**يشهد الرّب أنّي أقدّس قضيّتك، وكلامك سيدي الأمير يؤلّف بين القلوب ويزرع المحبّة الأبدية بين النّاس [...] الأمير عبد القادر: أحسنت... أهلا بكم في مقامكم هذا وأهلا بنا بينكم"**[96]، والحديث الذي دار بين الضّابط الفرنسي والأسقف دوبوش: **"كورنيل أولفيان: بالطّبع يمكنك ذلك، فزوّاره كُثر هذه الأيام.. من وجهاء المقاطعة وضبّاطها ورهبانها، وكلّ من يغادر قصر بو لا يتوقف عن المدح بفكر الأمير وفلسفته وإيمانه الرّوحي الشّديد [...] فعلا... غريب أمره لم أر مثله من قبل، في أرض المعركة تجده مقاتلا ويعامل أسرانا برأفة... ويجالس من معه متواضعا غير متكبّر، أمّا البارحة فتراه يجمع المال وما استوفى من الأكل ويوصي النّاس بفعل ذلك وعدم التّبذير ليرسله إلى الفقراء، وتجده يتحدّث في شتّى العلوم ويحاضر في كلّ الأديان، فتشعر أنّ الدّين واحد.. فعلا إنّه قدّيس. الأسقف دوبوش: كلامك صحيح... وهذا ما سمعت عنه، وفي عضة الصّلاة اتّخذه المطران مثلا للصبر عندما تحدّث عن النّفس التي يجب ألّا تتعب من التّعبد والتّقرب إلى الرّب"**[97] فهو – إذن– في نظرهم قدّيس؛ لأنّ له أخلاق عالية في الحرب وفي السّلم، محبّ للفقراء، كاره للإسراف والتّبذير، منفتح على الآخر، متواضع مع الجميع، متصوّف، زاهد في الدّنيا، مثل للصبر والأخلاق الحميدة.

- **خاتمـــــة:**

ما يمكن أن نخلص إليه، أنّ صورة الأمير في المخيال الأدبي من خلال الرّواية موضوع الدّراسة، قد كانت كلّها إيجابية، إذ لم نرصد أيّ صورة سلبية له، كما أنّ هذه الصّورة قد أعطت لنا معالم واضحة عن شخصية الأمير؛ فلقد نقلت إلينا ما تميّز به في مختلف مراحل حياته. كما أنّ الملاحظ على هذه الصّورة أنّها تدنو من الواقعية أكثر.

---

[95] المرجع نفسه، ص 186-187

[96] المرجع نفسه، ص 165

[97] المرجع نفسه، ص 162

صورة الأمير في المدونة موضوع الدّراسة قد كانت من وجهات نظر متعدّدة؛ غلب عليها الإيجابية في عمومها، حتّى أنّ الآخر المتمثّل في الغزاة الفرنسيين، نظروا إليه نظرة كلّها إيجابية، دون مقدرتهم على تقزيمه أو احتقاره، لما له من مواقف مشرّفة خالية من كلّ تلاعب أو نفاق أو نقض عهد. والذي حكم هذه الصّورة بشكل كبير هو العلاقات بين الطّرفين، فكلّما كان هناك تواصل وتفاهم تجمّلت الصّورة، وكلّما كان هناك عكس ذلك، من صراع وتنافر تقبّحت الصّورة؛ إلّا أنّنا لم نعثر على هذا النّوع من الصّور، رغم ما هو كائن من صراع بين الأمير والغزاة الذين كوّنوا له صورة، ممّا يدلّ على أنّ الكاتب لعب دوره ها هنا.

تظهر لنا صورة الأمير، أنّه كان فعلا شخصية قيادية، لما امتاز به من حكمة وبصيرة وحسن تدبير وديمقراطية وانفتاح وحسن معاملة، كسبت العدو قبل الصّديق. كما أنّ هذه الصّورة تعكس لنا اقتداء الأمير بالنّبي الكريم في الكثير من المواقف الحياتية. وكذا أهمّ الصّفات التي تحلّى بها التي نجد من بينها؛ ميله الدّائم إلى المشورة، العفو عمّن أخطأ، ونصرة المظلومين والمستضعفين.

لم يتحرّج الأمير من تعامله مع الآخر المسيحي؛ المرأة منهم على وجه الخصوص، ممّا يدلّ على أنّ وضعه للمرأة في مكانة مميّزة، رغم ما هو كائن من اختلاف عقدي وجندري، إذ لم نشهد أيّ تهميش لها، وهذا يظهر جليّا في معاملته للمرأة عموما؛ فها هو يكرم نزل زوجته، ويحسن معاملتها.

الأمير عاش وضعيّة تآلف مع الآخر المسيحي، رغم اختلاف المعتقد، إذ وصل به الحدّ إلى نصرتهم والدّفاع عنهم في الكثير من المواقف، ولا أدلّ على هذا من دفاعه عنهم بدمشق وإخماده لنار الفتنة التي كادت أن تودي بهم.

تفتح هذه المدونة –أيضا– بابا للبحث في صورة وتمثّلات الآخر المستعمر الفرنسي؛ فكثرة الحديث عنه شكّلت له صورتين متناقضتين في ثنايا المدونة، الوقوف عندهما له من الأهميّة بما كان.

- **قائمة المصادر والمراجع:**

المصادر:

- عبد القادر قسمية: ثائر من الجزائر، ط 1، دار النّفائس، لبنان، 2015

المراجع بالعربية:

- بنخود نور الدّين أحمد: المرجعي والذّاتي في السّرد الرّحلي، ط 1، كلمة للنشر والتّوزيع، تونس، 2022
- بن قينة عمر: الشّكل والصّورة في الرّحلة الجزائرية الحديثة، ط 1، دار الأمة، الجزائر، 1995
- هلال محمد غنيمي: الأدب المقارن، ط 3، دار نهضة مصر، القاهرة، د ت

المراجع المترجمة:

- باجو دانييل هنري: الأدب العام والمقارن، تر: غسان السّيد، د ط، منشورات اتحاد الكّتاب العرب، دمشق، سوريا، 1997

المجلّات:

- مجلة اللّغة والأدب، ع 26، كلية اللّغة العربية وآدابها واللّغات الشّرقية، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2015